بين جيتى ونابليـون

قال المتنبى فى القصيدة التى ودع بها ابن العميد بعد أن أضافه فى أرّجان :

تفضلت الأيام بالجمع بيننا فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد

وكما تفضلت الأيام بالجمع بين شاعر العربية الكبير أبى الطيب المتنبى والوزير الكاتب الأديب ابن العميد ، فكذلك تفضلت مرة أخرى — على بخلها وشحها — فجمعت بين جيتى كبير شعراء الألمان والشخصية الشامخة المنيفة فى أدبهم ، ونابليون بونابرت أعظم عبقرية عملية عرفتها العصور الحديثة فى تقدير الكثيرين . ولم يسفر تلاقى هذين الرجلين العظيمين عن نتائج ذات بال ، ولم يأت بخير يذكر ، ولكن مجرد تماسّ هذين العالمين الضخمين من عوالم الروح : عالم الفكر الواسع ودنيا الخيال الرائع ، وعالم الواقع الحافل ودنيا الأعمال الجليلة ، مما يسترعى النظر ، ويثير الفكر ، ويحرك الخيال ، بل هو حادث لا تسخو به الأقدار إلا فى الفلتات النادرة ، وربما لم يكن له نظير منذ تلاقى الإسكندر وديوجانس .

كان جيتى حينذاك يهدف للستين وقد علت مكانته الأدبية وسارت شهرته مسير الشمس ، وكان نابليون فى الأربعين من عمره وقد بلغ ذروة القوة والنفوذ . وكان جيتى على شهرته وسمو مكانته الأدبية أحد أفراد شعب مغلوب على أمره ، مصدوع الوحدة ، ممزق الأوصال ، ولكن مجده الأدبى كان ثابت الدعائم موطد الأساس ، وكان نابليون فى ظاهر الأمر سيد الموقف ، ورجل الساعة ، قد انتصرت جيوشه المظفرة على الألمان ، وأذاقتهم ذل الهزيمة ، واستباحت حماهم ، ولكن برغم ذلك المظهر الخلاب ، والجاه العريض ، والنفوذ المترامى ، كان يساور نفسه قلق داخلى ، وكان يعلم فى أعماق سريرته أن إمبراطوريته قائمة على كثبان من الرمال ، وأنه يبتنى القلاع فى الهواء ، وأن القدر قد يستقبله بمعضلات

يعجزه علاجها . ولم يكن نابليون بحكم طبيعته العملية كثير الإعجاب برجال الأدب ، وكان يعرف صلفهم ، وفرط إعجابهم بأنفسهم . وقد كتب مرة إلى أخيه جوزيف ملك روما : « أنت تكثر من الاجتماع برجال الأدب والاطلاع ، وهم كثيرو الدلال ، ويجب على الإنسان ألا يحلم بأن يتخذ منهم زوجة أو وزيراً » . ولكنه كان فى موقف يستدعى الاستعانة برجال الأدب لملء الفراغ ، وتزجية الوقت ، وهكذا يستذل الحرص على الدنيا أعناق الرجال ولو كانوا من طراز نابليون . وكان جيتى يحترم الجندية ويكبر من شأن الرجال العمليين ، ولم يكن جيتى بحكم عمله فى ويمار من المنصرفين عن الدنيا ، المنقطعين لحياة الفكر والتأمل ، ولكنه برغم ذلك كان رجل دراسة واطلاع وتروية وتفكير ، فهو يحترم رجل العمل ويعتبره أسمى منه شأناً . وقد دفع المتنبى اعتزازه بنفسه الى أن يقول :

شاعر المجد خِدْنه شاعر اللفـــــظ كلانا رب المعانى الدقاقِ

أما جيتى فكان يرى أن شاعر المجد — وهو هنا نابليون — أجل شأناً من شاعر اللفظ ، وأن مكانة السيف أجل وأخطر من مكانة القلم .

وقبل أن أذكر رواية جيتى عن هذا اللقاء سأشير إلى بعض الملابسات الخاصة التى أحاطت به ، وسيعيننا ذلك على تبين حقيقته وتفسير غوامضه .

كان نابليون فى تلك الفترة يلقى الشدائد من مقاومة الإسبانيين له وتمردهم عليه ، وقد اضطره ذلك إلى الاحتفاظ بجيش جرار فى إسبانيا ، وكانت مقاومة الإنجليز له تزداد عنفاً واتساعا وإصراراً وعناداً ، وقد اجتذبوا الأتراك إلى صفوفهم ، وبدأت تنتقض عليه هولندة وإيطاليا وسويسرة ، وشرع النمساويون يستأنفون استعدادهم الحربى . وكان نابليون يشعر بأنه فى حاجة إلى الإمعان فى استرضاء قيصر الروسيا — الإسكندر الأول — والتقرب منه وتقوية اتفاق تلست ، وكان يرمى إلى هدفين : إخافة النمسا ، والاستيثاق من ولاء الإسكندر ، وقد عجم عوده فى تلست فوجده صلباً لا تلين قناته ، وكان يكفيه منه أن يلتزم الحياد فلا ينحاز إلى صفوف الأعداء . ولكن هل يصارحه بهذا الغرض المتواضع والمطلب اليسير ؟

استدعى نابليون تاليران قبل ذهابه إلى إرفرت — مسرح هذا اللقاء التاريخى — وقال له :

« إعقد لى معاهدة ترضى القيصر الإسكندر وتكون موجهة قبل كل شئ ضد انجلترا ، وعليك أن تذهب إلى إرفرت قبل قدومى بيوم أو بيومين ، وأن تزور القيصر مباشرة ، وعليك بوجه عام أن تكثر من زيارته أثناء وجودنا بإرفرت ، وأنت تعرفه معرفة جيدة ، وتفهم كيف تعامله ، وأطِلْ معه الحديث عن تحالفنا ، وكيف يمكن أن نلمح فيه أصبع العناية التى تعمل لإنقاذ الإنسانية . واجعله يرى أننا نحن الاثنين — الإسكندر وأنا — قد أعدّنا القدر لحفظ النظام فى أوربا . وعليك كذلك أن تتحدث إليه عن الرأى العام وكيف نوجهه حتى يرى أن اتفاقنا لا يثير الخوف بل يخففه ويلطفه . ثم قل شيئاً عن تحسين أحوال القارة عامة وعن بركات السلم ، وأشر فى خلال ذلك إلى اليونانيين الذى يتطلعون إلينا لتحريرهم . فهذه أفكار إنسانية يجب — كما تعلم — أن يسمعها . وأنا أفوض إليك الأمر ياتاليران تفويضاً تامًّا فقم به خير قيام . »

وأراد نابليون أن يظهر فى إرفرت بمظهر أخاذ الرونق بالغ أقصى حدود الفخامة والروعة ، وكان لا يفتأ يقول لمستشاريه : « يجب أن تكون رحلتى لماعة أخلقة ، وأن أقيم فى كل مساء بإرفرت حفلة تمثيلية . وإنى أريد أن أبهر نظر ألمانيا وأخلب لبها بالروعة والجلال والفخامة . »

وجمع حوله قواده المعروفين الذين اشتهر أمرهم بين الألمان ، وسائر دعائم دولته وحملة ألويته . وكان يعتقد أنه متى وفق فى إحداث التأثير اللازم فإنه يستطيع بعد ذلك أن يفعل بأسبانيا ما يريد ، ثم يفرغ لمجاهدة الإنجليز وكسر شوكتهم .

وقد دخل نابليون إرفرت يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٠٨ فى الساعة العاشرة صباحا ، فاستقبلته المدينة استقبالا فخما ، ووقفت الجموع المتراصة فى الشوارع والطرقات وفى الميدان الذى كان به القصر المعد لنزوله ، وكان كل إنسان يريد أن يملأ عينيه ما وسعه الإمكان من هذا الرجل الذى ثلّ العروش ، ولعب بالتيجان ، وقهر الجبابرة ، ودوخ الجيوش ، والذى أصبح فى يده مصير أوربا وخيرها وشرها وسعدها وشقاؤها .

ولم يعجب هذا المنظر داهية السياسية الباقعه تاليران فكتب عنه فى مذكراته يقول : « لم أر فى إرفرت كيف يتملق الدهماء والأوشاب رجلَ القوة وصاحب السطوة ويزحفون أمامه فى التراب فحسب ، وإنما رأيت كذلك كيف ينزل الأمراء الذين لا يزالون على عروشهم عن كبريائهم ، ويسفّون ويهبطون إلى الملق الرخيص صوناً لعرشهم ، وإبقاء على سلطانهم ، وكيف يقبّلون اليد التى قد تمتد فى أى يوم من الأيام إلى تحطيمهم والقضاء عليهم . »

ومهما يكن رأى السياسى المتشكك الساخر تاليران ، فإن المنظر فى إرفرت كان باهراً بديعاً ؛ فقد اجتمع هناك إمبراطور فرنسا وقيصر روسيا وأربعة ملوك وأمراء مقاطعات الراين وكثير من الدوقات والكونتات ، وكان الجميع يرفلون فى وشى الدمقس ، ويخطرون فى أجمل البرود ، وقد ازدانت صدورهم بالأوسمة اللامعة ، وحفلت المدينة بالجند فى حللهم المدبجة ، وستراتهم البراقة المزخرفة ، وانتشر رجال الحرس الإمبراطورى وفرق الفرسان والخيالة ، وفتح مسرح إرفرت ، وكان يقوم الممثل المشهور تالما وفرقته بتمثيل أجمل المآسى الفرنسية فى حضرة العواهل والملوك والأمراء ، وكان لا يرى فى صحن المسرح سوى الأوسمة والنجوم والنياشين ، وقد وقفت على باب المسرح فرقة من الحرس الملوكى ، وكلما قدم أحد الإمبراطورين يقرع الطبل ثلاث مرات ، وكلما قدم أحد الملوك يكتفى بقرع الطبل مرتين . وقد اتفق أن حضر ملك وتبرج فى مركبة مطهمة فارهة ، فغر الحارس مظهره فامر بدق الطبل ثلاث مرات ، فصاح به الضابط المشرف غاضباً : « اسكت فليس هذا سوى ملك ! » .

ولم يكن جيتى راغباً فى الذهاب إلى إرفرت ؛ فقد بلغه قبل ذهابه إليها بأيام نبأ وفاة والدته ، ولكن دوق ويمار الذى أظلت جيتى سماؤه وحاطه برعايته ، استدعاه . ورأى جيتى من واجبه أن يكون إلى جانبه فى أزمته الحازبة وظروفه الحرجة ، وقد وصل إلى إرفرت يوم ٢٩ سبتمبر وحضر فى المساء تمثيل رواية « أندروماك » .

وقال نابليون لتاليران بعد اجتماعه الأول بالقيصر فى إرفرت : كل شئ على ما يرام ، ولا يجب أن نتعجل ، ولا تنس يا تاليران أن التأخير فى مصلحتنا ، فتمهل جهد الطاقة ، ويجب أن تفتن عظمتى القيصر الإسكندر وتذهله ، وستسير المفاوضات بعد ذلك فى طريق سهل ممهد . وكان نابليون يؤمل أنه ربما استطاع

أن يستميل القيصر ويحمله على مؤازرته فى إرهاب النمسا . ولكن مثل هذا الطلب الهين اللين لا يعبر عنه اللفظ ، وإنما يمكن تحقيقه بالمشاهد البارعة ، والمرائى الوضاءة فى إرفرت . وكلما طال العرض وامتد الوقت تكاثرت مخاوف النمساويين الذين أبعدوا باحتقار مهين عن حفلات إرفرت ، واعتقدوا أن هناك محالفة جديدة بين الإسكندر ونابليون . وكان لا بد من إنفاق الوقت وتقطيعه ، وتحاشى نابليون فى الأيام الأولى الخوض فى المناقشات السياسية ، وكان يطيل مدة تناوله فطوره ، ويستقبل خلال ذلك مختلف الأشخاص البارزين ويجاذبهم الحديث فى عناية واهتمام .

وفى يوم ٢ أكتوبر استدعى جيتى للاجتماع بالإمبراطور نابليون . وقد روى جيتى عن هذا اللقاء ما يأتى : « دعيت إلى المثول بين يدى الإمبراطور حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا ، وطلب إلى خادم بولندى قوى البنية أن أنتظر ، ثم دعيت إلى الجناح الذى يشغله الإمبراطور ، وفى ذلك الوقت استأذن دارى وسمح له بالدخول مباشرة ، وكان علىّ من أجل ذلك أن أنتظر ، ثم أذن لى بالدخول مرة أخرى ، فدخلت ورأيت الإمبراطور جالسا يتناول طعام الفطور على مائدة كبيرة مستديرة ، وكان تاليران واقفا إلى يمينه على مسافة قريبة من المائدة ، وكان دارى واقفا قريبا منه إلى اليسار ، وخلفه برتييه وسافارى ، فأشار إلىّ الإمبراطور بالاقتراب فظللت واقفاً على مسافة مناسبة منه ، وبعد أن أثبت فىّ نظره قال : « أنت رجل » فانحنيت شاكراً . فسألنى : « كم عمرك ! » فأجبته : « ستون سنة » فقال : « أنت لا تزال محتفظاً بوثاقة بنيتك » . وسألنى : « هل كتبت ما سى ؟ » فأعطيته المعلومات الكافية فى إيجاز . وهنا تدخل دارى فى الحديث ليتملق الألمان بمعرفته لأدبهم ، وقد تحدث عنى كحديث أصدقائى فى برلين ، وشرع نابليون يتحدث عن ورتر ورواية محمد والدراما الفرنسية ، ثم سألنى هل أنت متزوج وهل لك أولاد ؟ وسألنى عن بعض تفصيلات أخرى شخصية ، ثم سألنى عن علاقتى بالبيت الحاكم وعن الدوقة آمالى وعن الأمير والأميرة وما إلى ذلك وأجبته الجواب الطبيعى ، وبدا لى أنه قد سر بحديثى » . وفيما يختص بحديثه عن ورتر قال جيتى : « بعد أن أبدى ملاحظات شديدة صائبة أشار إلى فقرات منها واستفسرنى لماذا كتبتها هكذا ، وإن ذلك مخالف للطبيعة ، وبسط رأيه فى وضوح تام ، وأصغيت إليه فى هدوء وأجبته مبتسما إنى لم أسمع هذا الاعتراض

من قبل ولكنى أراه حقا . والفقرات التى أشار اليها فى الواقع غير طبيعية ، ولكن ربما يتسامح مع الشاعر إذا احتال حيلة تمكنه من الوصول إلى غرضه بأيسر السبل ، ثم عاد إلى موضوع الدراما وأبدى عدم ارتياحه للأجزاء التى يلعب فيها القدر دورا » .

واستمر اجتماعهما حوالى ساعة ، ويقال إنه لما برح جيتى الحجرة التفت نابليون إلى برتييه وداري وكرر قوله «هذا رجل» . ولم ينس نابليون فى خلال الحديث أن يقول له : « أظن يا مسيو جيتى أنك لا ترى بأساً فى حضور تمثيل المآسى الفرنسية أثناء وجودك هنا» ، وأعد له تاليران فى المساء محلا مناسبا خلف الصف الأول حيث كان يجلس حملة التيجان وعلية الأمراء

وتختلف رواية تاليران لهذا اللقاء الأول عن رواية جيتى ، ولم يرد بها ذكر لمسألة « هـذا رجل » التى أكثر من ترديدها الألمان مستدلين بها على قوة شخصية جيتى وفراسة نابليون وألمعيته . وتاليران يقول : « فى ذات صباح تناول الإمبراطور قائمة الأجانب الذين قدموا ووقع على اسم جيتى ، فأصدر أمرا باستدعائه . فلما دخل جيتى دعاه الإمبراطور قائلا : « يسرنى أن أراك يا مسيو جيتى » فأجابه جيتى : « يدهشنى أن جلالتكم وأنتم مسافرون تجدون متسعاً من الوقت للالتفات إلى هذه الأمور الصغيرة» . وقد روى جيتى أن تاليران انسحب قبيل انتهاء الحديث . وربما يرجح هذا الرواية القائلة إن قول نابليون « هـذا رجل » كان فى خاتمة الحديث لا فى أوله . ومن الغريب أنها لم ترد كذلك فى رواية ولهلم فون همبولدت ، وقد أفضى إليه جيتى بما دار من الحديث بينه وبين نابليون عقب انصرافه من حضرته . ويرى ورنر هيجمان — فى كتابه القيم عن نابليون — أن نيتشه وجندلف وإميل لدفج قد حمّلوا هذه الكلمة أكثر مما تحتمل ، وتأولوها تأويلا بعيدا ، وإذا كانت قد قيلت حقاً فهى ليست أكثر من قولنا « هذا رجل طيب » أو — إذا أردنا المداعبة فى الثناء — «هذا رجل شقى» أو «هذا عفريت !» ويرى بعض الخبثاء أن نابليون قال هذه الكلمة قبل أن يولد له ولى عهد بعامين ، وكان حينذاك حريصاً على أن ينفى عن نفسه تهمة ضعف الرجولة !

وخرج جيتى من لدن نابليون فرحا مسرورا ، فكتب إلى كوتا مباشرة يقول: « يسرنى أن أقرر أنه لا شئ أجل وأسمى أو أبعث على الرضا والارتياح

يمكن أن يحصل لى أكثر من المثول بين يدى إمبراطور الفرنسيين . وبدون أن أذكر تفصيلات ما دار بيننا من الحديث أستطيع أن أقول إن الإمبراطور قد تلقانى بحفاوة لم أحظ بمثلها من أى أمير ، وكأنه كان يعطينى ما أستحق إذا اجترأت على أن أقول ما فى نفسى » .

وبعد ذلك بأيام قلائل دخل نابليون ويمار وأقيمت له احتفالات باهرة ، ومثّلت على مسرحها رواية « موت قيصر » وقام بتمثيل دور بروتس الممثل تالما ، وفى أثناء حفلة الرقص تحدث الإمبراطور طويلا إلى جيتى وويلاند الناقد الألمانى المعروف ، وعرض نابليون للأدب القديم والحديث ، ولمس موضوع شكسبير لمساً يسيراً ، ولم يكن يميل إلى أدبه ، وقد قال لجيتى : « يدهشنى أن رجلا راجح العقل مثلك لا يميل إلى أصحاب الآراء الحاسمة والألوان الواضحة » .

ولم يرد جيتى على ذلك ، واسترسل الإمبراطور بعد ذلك فى الحديث عن المأساة وحث جيتى فى النهاية على أن يكتب مأساة عن « موت قيصر » يكشف فيها عن الخطط العظيمة التى كان يريد قيصر تنفيذها لو مد فى عمره ، واقترح على جيتى أن يصحبه إلى باريس ، وذكر له أن مجال المشاهدة بها أوسع ، وأنه سيجد هناك مادة عظيمة لخلقه الشعرى .

ولم يكن جيتى قد رأى عاصمة كبيرة مثل باريز ولندن ، وكان فى دعوة نابليون له ما يغريه بقبولها . ويروى المستشار فون ميللر أن جيتى سأله عن النفقات اللازمة لهذه الرحلة ، وعن العادات المتبعة فى باريز ، ولكن مشقة مثل هذه الرحلة — فى تلك الأيام الخالية — وسنه المتقدمة حالتا دون الاستجابة لهذه الرغبة .

وفى يوم ١٤ أكتوبر تلقى هو وويلاند الإنعام عليهما بوسام الشرف الفرنسى ، وبرح الإمبراطور والقيصر إرفرت .

وقد التزم جيتى الصمت التام بخصوص ما دار بينه وبين نابليون . ولما سجل المحادثة بعد ذلك بأعوام طويلة سجلها موجزة ، وكان كلما سئل عن الفقرات الواردة فى ورقه التى أشار إليها نابليون وزعم أنها مناقضة للطبيعة الانسانية أجاب إجابة ماكرة عابثة ، وطلب إلى السائل أن يستعمل ذكاءه ، ويجرب براعته ، فى الكشف عن هذه الفقرات ، ولم يكشف النقاب عن هذا السر الباتع حتى لصاحبه وصفيه إكرمان . وكان يروق جيتى فى شيخوخته أن يحيط نفسه بالخفاء

والغموض ، ويجد متعة فى الإشراف على المعجبين به وهم يحاولون حل ألغازه وجلاء مساتيره . وقد رفع الغطاء عن حقيقة المسألة المستشار فون ميللر ، والنقد الذى وجهه نابليون إلى ورتر هو نفسه النقد الذى أثاره هردر حينما راجع ورتر ، ومضمونه أن حزن ورتر الذى تأدى به إلى الانتحار لا يبدو فى القصة أنه منبعث من الحب الخائب وحده ، وإنما قد اشترك معه الإخفاق فى الطموح . وقد ذهب هردر إلى أن هذا عيب فنى ، وظن نابليون أن ذلك مخالف للطبيعة الإنسانية ، وقد وافق جيتى الرجلين على ما ذهبا إليه . ويرى لويز مترجم حياة جيتى المعروف أن الثلاثة لم يصيبوا مقطع الحق ، فإن ورتر كان يشقى من الطموح الخائب المعطل وكذلك من الإخفاق فى الحب ، وورتر صورة منتزعة من الواقع ، وقد صوّره جيتى على مثال المدعو جيروسلم الذى كان يألم من الطموح المخفق ومن الحب الخائب ، وقد نقل جيتى ما رآه فى عالم الواقع إلى عالم الفن . وأنا أشايع لويز على هذا الرأى ، وهو يرينا القيمة الحقيقية للنقد فى بعض الأوقات ؛ فهنا ثلاثة من علية الرجال ندّ عنهم الحق ، وأخطأهم التوفيق فى النقد .

ويزعم كتاب الألمان أن جيتى ترك فى نفس نابليون أثراً عميقاً . وأرجح أنهم يبالغون فى ذلك ؛ فقد استدعاه نابليون نزولا على حكم الضرورات السياسية التى كان نابليون يجيد معرفتها . ونابليون على ما يظهر قد نسى الشاعر الكبير بعد ذلك نسياناً يكاد يكون تاما ، ولم يحرص على استدراجه إلى باريز كما حرص فردريك الأكبر على اجتذاب فولتير إلى برلين . وفى مايو سنة ١٨١٢ — قبل غزو روسيا — جمع نابليون حوله الأمراء الألمان فى مدينة درسدن ، وحضر للاجتماع به من برلين ملك بروسيا فردريك وليم وجاء من فينا الإمبراطور فرانز ، وكان الاحتفال باهراً مشرقاً ، وحضر هناك شارل أجطس مع جيتى ، ولكن نابليون لم يكن فى حاجة إليه هذه المرة ، فلم يجتمع به ولم يجاذبه الحديث . وفى عودته من روسيا خائباً مدحوراً مرت به العربة بويمار ، فلما أخرج رأسه من المركبة وسأل : «أين نحن ؟» وقيل له : «فى ويمار يا سيدى» قال : «كيف حال الدوقة ؟ وكيف حال الهر جيتى ؟» ولعله قال ذلك ليثبت لمن معه معرفته المحلية لويمار كما يقول السائح الأمريكى لزوجته إذا مر بفرانكفورت : «هذه مدينة فرانكفورت المشهورة بالمقانق !» وقد أقام نابليون فى سنت هيلانة سنوات وكان الملل يجعله يتحدث عن أشياء كثيرة ويكرر ذكرها ، ومع ذلك لم يذكر جيتى !

أما جيتى فكان شديد الإعجاب بنابليون كثير التحدث عنه ، وكان مزهوا بالوسام الذى أنعم به عليه نابليون ؛ ففى سنة ١٨٠٩ كتب وليم فون همبولدت إلى زوجته يقول : « لا يظهر جيتى إلا حاملا وسام الشرف الفرنسى ، وهو يقول فى حديثه عن الشخص الذى حباه به «إمبراطورى» . ولما اضطر إلى أن يخلع هذا الوسام بعد هزيمة نابليون فى ليبزج سعى فى الحصول على وسام من الحكومة النمساوية ليحمله بدلا من الوسام الفرنسى! » ، وهو مظهر ضعف فى هذا الرجل العظيم يؤسفنى أن أقرره . وقد كان فى جيتى تعلق غريب بالرسميات ، وحرص شديد على ترضى أصحاب السلطان . وقصته مع بيتهوفن ذائعة معروفة لا ينقض حقيقتها الدفاع المتهافت الذى رأى لويز كاتب سيرته ومؤرخ حياته أن يلزم به نفسه إلزاماً ليس له ما يسوغه ؛ فإن علينا أن نفهم الناس كما هم لا كما يجب أن يكونوا . والحياة أعرف منا بأبنائها ؛ فهى تخلع عليهم ما تشاء من الصفات والمواهب ، وتجردهم مما تشاء لحكمة قد نجهلها . وقد ذهب مرة لزيارة جيتى لفيف من صغار الضباط الناشئين ، فتلقاهم بحفاوة بالغة كادت تسف إلى الملق والعبودية . ولما تفضل بزيارته ملك باڤاريا كاد يجن من نشوة الفرح حتى قال : « يلزم الإنسان مجهود لكى يحتفظ بتوازنه ولا يأخذه الدوار » . ولم يكن هذا الرجل سوى الملك لويز المعروف بالشذوذ وغرابة الأطوار ، والذى كان دريئة لسخرية الشاعر هينى . وقد تلقى الملك لويز هذا عرشه من فتات مائدة نابليون ، فليس كثيراً على جيتى الذى كان يفخر بتنزله إلى زيارته أن يفرط فى الإعجاب بنابليون ويمعن فى الولاء له وهو قاهر بلاده وسالب حريتها . والواقع أن جيتى كان فى حاجة إلى جرعة من كبرياء المتنبى واعتزازه بنفسه تلقاء أصحاب السلطان وحملة التيجان ، وقد صحبهم وكاد يفنى فيهم . أما المتنبى فقد قال بعد صحبته لهم فى شىء كثير من المرارة والغضب :

صحبت ملوك الأرض مغتبطاً بهم ... وفارقتهم ملآن من حنق صدرا

على أنهم